Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتقديم اللبنات ومواد البناء، فإن علم البديع يُعنى بطلاء المبنى وزخرفته، فهو علم طرق التحسين الشكلي.»[٢]. ومن ثم. فالبديع تابع لعلمي المعاني والبيان، اللذين هما ـ عند السكاكي وأتباعه ومنهم القزويني ـ مرجعا البلاغة. وهذا التحسين قد يكون في المعنى، وقد يكون في اللفظ، ومن ثم ينقسم البديع إلى معنوي ولفظي.

وواضح ما في الأمرين: الأول والثاني، من تقليل شأن البديع، وذلك بجعله ـ وعلى حد تعبير غير باحث[٣] ـ (ذيلاً) لعلمي المعاني والبيان، وبحصر وظيفته في التحسين والتزيين ، ففي هذا غفلة عن الوظيفة الفنية التي قد يسهم البديع في تحقيقها، وهي وظيفة من أخص خصائص الكلام الأدبي، ألا وهي وظيفة (الأدبية)، كما قد يسهم البديع في إكساب الكلام صفة (النصية)، على نحو ما سنناقش في الباب التالي.

وقد يكون لنا أن نفهم ـ أيضاً ـ من تعريف القزويني للبديع، أن الكلام متى تحقق فيه البديع، فقد تحققت فيه البلاغة كل البلاغة؛ لأن البديع لا يعتد به ما لم يتحقق شرطا المطابقة ووضوح الدلالة، يقول أبو جعفر الغرناطي: «العلم بوجوه تحسين الكلام لا يسمى بديعاً إلا بشرطين: أن يكون ذلك الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، وأن تكون كيفية طرق دلالته معلومة الوضوح والخفاء. فالشرط الأول هو علم المعاني، والشرط الثاني هو علم البيان، فلو عدم الشرطان أو أحدهما من الكلام، لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعاً»[٤]. وعلى هذا فالبديع ـ في نظر يحيى بن حمزة العلوي ـ «هو خلاصة علمي المعاني ومحاص سكّرهما»[٥].

ورغم هذا الفهم تظل نظرتهم إلى البديع على أنه مُحسِّن، وأنه تابع للفصاحة والبلاغة[٦]، وأن البلاغة تتحقق بدونه وبدون البيان، اكتفاء بمراعاة المطابقة، ويصور أبو جعفر الغرناطي ذلك بقوله: «فالمعاني والبيان بالنسبة إلى البديع، كالحيوان والنطق بالنسبة إلى الإنسان؛ فلا يوجد البديع بدونهما، كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق. والمعاني بالنسبة إلى البيان، كالحيوان بالنسبة إلى النطق؛ فتوجد المعاني بلا بيان كما يوجد الحيوان بلا نطق، ولا يوجد البيان بلا معان، كما لا يوجد النطق بدون الحيوان»[٧] كما يصور يحيى بن حمزة هذه العلاقة بقوله: «اعلم أن هذه الأنواع الثلاثة، أعني علم المعاني والبيان وعلم البديع، مآخذها مختلفة، وكل واحد منها على حظ من علم البلاغة والفصاحة، ولنضرب لها مثالاً يكون دالاً عليها، ومبنياً لموقع كل واحد منها، وهو أن تكون حبات من ذهب ودرر ولآلئ ويواقيت، وغير ذلك من أنواع الأحجار النفيسة، ثم